الفصل الثالث

الجبار جل جلاله يضحك

١- ضحك الرحمن يستوجب الطمع في رحمته .

٢- ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولاً .

٣- ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة!!

٤- الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه .

٥- سيد الأنصار يضحك له الرحمن .

٦- ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها .

٧- ثبوت التبشبش كما ثبت الضحك .

obeikandl.com

الجبار جل جلاله يضحك

لقد أثبتت السنة النبوية الضحك للحق سبحانه ؛ كما جاء ذلك في أحاديث عدّة ؛ لكنه ينبغي أن نؤمن بهذه الأحاديث التي يسميها العلماء : أحاديث الصفات ـ وكذلك آياتها ـ من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم .

يقول الشيخ مرعي في كتابه (أقاويل الثقات) : وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث ، على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسرها ، مع تنزيهنا له عن حقيقتها .

روى الإمام اللالكائي عن محمد بن الحسن قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب ، على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وعن أم سلمة ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه:٥) ، قالت : «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، والبحث عنه كفر»[1] .

ولله در الإمام السيوطي حين قال :

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه ... ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... قدر من أنت و لا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خباياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول ؟
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم ؟ فقل لي يا جهول

---

١١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ، مرعي بن يوسف الكرمي ، ص ٦٠، ط الرسالة الأولى١٤٠٦هـ .

أنـــت آكـــل لخبـــز لا تعرفـــه ... كيف يجري منك أم كيف تبول ؟
فـــإذا كانـــت طوايـــاك الـــتي ... بين جنبيك كـــذا فيهـــا خلـــول
كيف تدري مـــن علـــى العـــرش ... لا تقل كيف استوى كيف النزول؟
كيف تجلى الله ؟ أم كيف يـــرى ؟ ... فلعمـــري لـــيس ذا إلا فضـــول
هـــو لا كيـــف ولا أيـــن لـــه ... وهو رب الكيف والكيف يحـــول
وهو فوق الفـــوق لا فـــوق لـــه ... و هو في كل النـــواحي لا يـــزول
جـــل ذاتـــاً و صـــفات وسمـــا ... و تعـــالى قـــدره عمـــا أقـــول

وما أجمل ما قاله القائل :

هو أول هـــو آخـــر هـــو ظـــاهر ... هو بـــاطن لـــيس العيـــون تـــراه
حجبته أســـرار الجـــلال فدونـــه ... تقف الظنـــون وتخـــرس الأفـــواه
صـــمد بـــلا كـــفء ولا كيفيـــة ... أبـــداً فمـــا النظـــراء والأشـــباه
سبحان من عنت الوجوه لوجهـــه ... ولـــه ســـجود أوجـــه وجبـــاه
ما كان يُعبـــد مـــن إلـــه غـــيره ... والكل تحـــت القهـــر وهـــو إلـــه

وضحكه سبحانه : من هذا الباب ، إذ أنه من الصفات التي يجب الإيمان بها دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل . قال الخطابي : الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح غير جائز على الله تعالى ، وإنما هذا مثل ضُرِب لهذا الصنيع الذي يحل محل الإعجاب عند البشر فإذا رأوه أضحكهم[1] .

ويقول ابن القيم : ومن هذا ضحكه سبحانه من عبده حين يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه ، فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً ؛ كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ، ومضاجعة حبيبه إلى خدمته ، يتلو آياته ويتملقه .

ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليه ، وباع نفسه لله ، ولقّاهم نحره حتى قتل في محبته ورضاه .

---

(١) انظر : فتح الباري ، ٦/٤٠ .

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه ، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سراً حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه .

فهذا الضحك منه حباً له وفرحاً به .

وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة فيضحك إليه فرحاً به ، وبقدومه عليه .

وليس في إثبات هذه الصفات محذور البتة ، فإنه فرح ليس كمثله شيء ، وضحك ليس كمثله شيء ، وحكمه حكم رضاه ومحبته وإرادته وسائر صفاته ؛ فالباب باب واحد ، لا تمثيل ولا تعطيل[1] .

ضحك الرحمن يستوجب الطمع في رحمته :

إن رباً يصف نفسه بالضحك لرب كريم ، ولن يعدم عباده منه الخير أبداً ، وهذا ما قاله الأعرابي للنبي ﷺ ؛ ففي الحديث : أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له : نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة ..... وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره ؛

---

(١) انظر : مدارج السالكين ، ابن القيم ، ١ / ٢١٦ . لكنه ينبغي أن تكون طريقة عرض هذه الآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه كعرض القرآن الكريم لها ، وعرض رسول الله ﷺ لها ، ونعني بهذا ألا تجمع الصفات في مقام واحد ، فيكون الأمر أكثر إيهاماً للتشبيه ، وفي ذلك يقول القرضاوي : وتلك الحقيقة : أن تعرض هذه الصفات كما وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، أعني : أن تذكر مفرقة لا مجموعة ، فكل مسلم يؤمن بها ويثبتها لله تعالى كما جاءت . فليس مما يوافق الكتاب والسنة جمعها في نسق واحد ، يوهم تصور ما لا يليق بكمال الله تعالى . كما يقول بعضهم : يجب أن تؤمن بأن لله تعالى وجها ، وأعينا ، ويدين ، وأصابع ، وساقا ، . . . إلخ . فإن سياقها مجتمعة بهذه الصورة قد يوهم بأن الله تعالى وتقدس كل مركب من أجزاء ، أو جسم مكون من أعضاء . .ولم يعرضها القرآن الكريم ولا الحديث الشريف بهذه الصورة . ولم يشترط الرسول لدخول أحد في الإسلام أن يؤمن بالله تعالى بهذا التفصيل المذكور . ولم يرد أن الصحابة وتابعيهم بإحسان كانوا يعلمون الناس العقيدة بجمع هذه الصفات ، كما تجمع في بعض الكتب المؤلفة في ذلك . انظر : الإخوان المسلمون ، د : يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، ٣٤٣/١.

قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله علم أني أبتغي السقطة ؛ فقال : ضنّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ، وأشار بيده ، فقلت : ما هن يا رسول الله ؟ قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه وما تعلمونه ، وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث ؛ يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب . قال لقيط : فقلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا يا رسول الله »[1].

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن إسماعيل بن أمية رفعه إلى النبي ﷺ قال : « إن الله ليضحك منكم أزلين بقرب الغيث منكم . قال : فقال رجل من باهلة : يا رسول الله إن ربنا ليضحك ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا عدمنا الخير من رب يضحك »[2].

وأذكر من الأحاديث التي أثبتت الضحك لله تعالى ما يلي :

١- ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولاً .

٢- ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة .

٣- الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه .

٤- سيد الأنصار يضحك له الرحمن .

٥- ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها .

---

(١) رواه أحمد (١٦١٨٧) عن أبي رزين وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، ورواه ابن حبان (٦١٤١) والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٦٦) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠) وقال : حسن بمجموع الطرق .

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٨٤) .

ضحكه سبحانه من آخر أهل الجنة دخولاً

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون[1] في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنكم ترونه كذلك . . . إلى أن قال : ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها[2]، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟ فيقول لا أسألك غيره ، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت . ثم يقول : أي رب قدمني إلى باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، فيقول : أي رب ويدعو الله ، حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ؛ فإذا قام على باب الجنة انفهقت[3] له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، فيقول : أي رب لا أكون أشقى خلقك . فلا يزال يدعو الله حتى **يضحك الله تبارك**

---

(١) تَشكُون .

(٢) لهبها .

(٣) اتسعت

وتعالى منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تمنه . فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه . قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدّث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل : ومثله معه . قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ، قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة».[1]

وفي رواية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : آخر من يدخل الجنة رجل ؛ فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة ، فيقول : أي رب أُدْنِني من هذه الشجرة ، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ، فيقول : لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها . فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة ،

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٧٣) ورواه مسلم في الإيمان (١٨٢) .

فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يَصْريني[1] منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ، قال : يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا مم تضحك يا رسول الله ؟ قال **من ضحك رب العالمين** حين قال : أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر [2].

هذا الحديث الذي تعددت رواياته ؛ يصور موقفاً لآخر أهل الجنة دخولاً ، وهو ولا شك قد أسرف على نفسه ، وارتكب ما ارتكب من الذنوب والخطايا ، ووقع فيما وقع من الآثام والبلايا ، لكن الله سبحانه وتعالى يظهر للعبد عفوه ، ويبدي له عظيم عطائه ، والعبد لا يصبر كلما رأى نعمة من نعم الجنة تلوح له ، فيقسم ثم يحنث ، ويحلف ولا يثبت ، ويعاهد ربه ثم يخلف ، وهذا سبب ضحك الرب من عبده .

وأما قول العبد لربه : (أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟)

أو (لم تهزأ بي وأنت ربي ؟) أو (أتسخر مني وأنت الملك ؟)أو (أتضحك بي وأنت الملك ؟)

وفي معنى ذلك أقوال :

● **أحدها** قال المازري : إنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث دون لفظه ؛ لأنه عاهد الله مرارا أن لا يسأل ، ثم غدر ، فحل غدره محل الاستهزاء والسخرية ، فقدر الرجل أن قول الله تعالى له (أدخل الجنة) ، وتردده إليها ، وتخييل كونها مملوءة ضرب من الإطماع له والسخرية به جزاء لما تقدم من غدره ، وعقوبة له ، فسمي الجزاء على السخرية سخرية ، فقال : تسخر بي ؟ أي تعاقبني بالإطماع .

---

(١) بفتح الباء وسكون الصاد : أي من يقطع مسألتك مني ، والصري القطع .

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٨٧) .

● **والقول الثاني** قاله أبو بكر الصيرفي : أن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى ، كأنه قال : اعلم أنك لا تهزأ بي لأنك رب العالمين ، وما أعطيتني من جزيل العطاء وأضعاف مثل الدنيا حق ، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا ، وأنا لست أهل له . قال : والهمزة في أتسخر بي همزة نفي ، قال : وهذا كلام منبسط متدلل .

● **والقول الثالث** قال القاضي عياض : أن يكون صدر من هذا الرجل لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله ؛ فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا ، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ، وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر إنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال : «أنت عبدي وأنا ربك»[1].

وأما الزيادة بين رواية أبي سعيد ورواية أبي هريرة ؛ قال العلماء : وجه الجمع بينهما : أن النبي ﷺ أعلم أولا بما في حديث أبي هريرة ، ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبى سعيد ؛ فأخبر به النبي ﷺ ولم يسمعه أبو هريرة [2].

وهذا الحديث دليل ظاهر على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ، وليس هذا الحديث وحده ؛ وإنما كثرت الأحاديث ، حتى قال ابن القيم في «حادي الأفراح» : وأما الأحاديث عند النبي وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة ، وعدد ابن القيم من الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث (١٣) صحابياً ، ثم قال قبل أن يذكر الروايات : فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن ، وتَلَقّها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر ، لا بالتحريف والتبديل ، ولا تكذب فمن كذّب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين [3].

---

(١) انظر : تحفة الأحوذي ، ٧ / ٢٧٢ .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٣ / ٢٤ .

(٣) انظر : صحيح حادي الأرواح ، ابن القيم ، تخريج واختصار : عبد الحميد الدخاخني ، ص ٢٦٨ وما بعدها ، ط دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٩٠م ، وللاستزادة في هذا الموضوع راجع : معارج القبول ، حافظ بن أحمد الحكمي ، ١/ ٣٠٥ وما بعدها ، ط دار ابن القيم الثانية ١٩٩٥م .

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- في الحديث دلالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار .

٢- وفيه دلالة على حقارة الدنيا وصغر نعيمها إذا قيس بنعيم الجنة .

٣- وفيه دلالة على عفو الله عز وجل .

٤- وفي هذا جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن ، ولا يسقط المروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال .

ضحكه سبحانه من قاتل ومقتوله يدخلان الجنة ! !

عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : « **يضحك الله عز وجل** لرجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : « يقتل هذا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر ، فيهديه إلى الإسلام ، ثم يجاهد في سبيل الله عز وجل فيستشهد ».[(١)]

وفي رواية : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **ضحك الله** من رجلين قتل أحدهما صاحبه وكلاهما في الجنة ».[(٢)]

لقد ضحك الله عز وجل ضحكاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ولا مانع هنا من أن يفيد الضحك التعجب من حال الرجلين ، قال ابن عبد البر : معنى هذا الحديث عند أهل العلم : أن القاتل الأول كان كافراً ، قلت : وهو الذي استنبطه البخاري في ترجمته .

ولكن لا مانع أن يكون مسلماً ؛ لعموم قوله « ثم يتوب الله على القاتل » كما لو قتل مسلم مسلماً عمدا بلا شبهة ، ثم تاب القاتل واستشهد في سبيل الله ، وإنما يمنع دخول مثل هذا من يذهب إلى أن قاتل المسلم لا تقبل له توبة .[(٣)]

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٠) .

(٢) رواه ابن حبان (٤٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٥) .

(٣) انظر : فتح الباري ٦ / ٤٠ .

ويشهد للرأي الأول حديث أبي هريرة وفيه : « قيل : كيف يا رسول الله ؟ قال : « يكون أحدهما كافراً ، فيقتل الآخر ، ثم يسلم فيغزو فيقتل» [١].

وعلى هذا فيشترط لدخول القاتل الجنة أن يتوب إن كان مسلما ، أو يسلم إن كان كافرا . قال الحافظ في الفتح : قوله « ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد» زاد همام « فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد» ومن أمثال هؤلاء : عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، وغيرهم ممن أسلموا بعد قتالهم للنبي ﷺ وأصحابه [٢].

والمتأمل لحياة الصحابة ﷺ ؛ يرى هذا الحديث شاهداً على حياة كثير منهم ، فهذا عكرمة بن أبي جهل ، كم قتل من الصحابة في بدر وأحد ؟ وهذا خالد ابن الوليد كم قتل هو الآخر في بدر وأحد ؟ وهذا عمرو بن العاص لا يقل عنهم شأناً ، وهذا أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، كم قاتل وقتل هؤلاء ؟

ولكن منّ الله عليهم ، وهداهم للإسلام فأسلموا ، وشرح صدورهم للإيمان فآمنوا ، ونادى عليهم مناد الجهاد فلبوا ، وتزينت لهم الجنة فشمروا فرضي الله عنهم ، وجمعنا بهم في جنة الفردوس .

وقد روي أن من تأخر من الصحابة وقاتلوا رسول الله ﷺ ثم هداهم الله ، كانوا يقولون لإخوانهم : نحن أدخلناكم الجنة ، وأنتم أدخلتمونا النار . ومن هؤلاء : ضرار بن الخطاب بن مرداس كان فارسا شاعرا ، أسلم متأخرا في فتح مكة : وكان يقول : زوجت عشرة من أصحاب النبي ﷺ بالحور العين . وقال يوما لأبي بكر : نحن خير لقريش منكم ، أدخلناهم الجنة ، وأنتم أدخلتموهم النار .[٣]

إن من عظمة الإسلام أن جعل من الحسنات ما تمحى به السيئات ، ومن العبادات ما تغفر به الكبائر ، ومن ذلك : الإسلام ، والتوبة ، والهجرة . . . وغير

---

(١) انظر : فتح البارى ، ٦ /٤٠ .

(٢) انظر : فتح البارى ، ٦/ ٤٠ .

(٣) انظر : الإصابة ، ابن حجر ، ٣/ ٤٨٤ .

ذلك من الأعمال الصالحة ، ويكفي في مثل ذلك قوله تعالى :﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود:١١٤) وقوله سبحانه :﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- فتح باب التوبة للعصاة .

٢- وأن الإسلام يجب ما قبله .

٣- أن كل من قُتِل في سبيل الله فهو في الجنة [١].

الرحمن جل جلاله يضحك من صنيع أبي طلحة وزوجه

عن أبي هريرة ﷺ قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد[٢] ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا . فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله . فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله ، فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا . قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة ؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر:٩) [٣].

كرم الضيفان خلق من أخلاق العرب عرفوا به قبل الإسلام ، واشتهر به بعضهم ؛ ومنهم حاتم الطائي ، وهو خلق جاء به الإسلام ليعلي منه ، ويحض عليه وفي الصحيح : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[٤].

---

(١) انظر : فتح الباري ، ٦ / ٤٠ .

(٢) الشدة والمشقة .

(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٩) .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١٣٥) ومسلم في الإيمان (٤٧) .

وفي رواية :« مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة »[1]. وقد حدد النبي ﷺ هنا وقت الضيافة الواجب على المضيف ، وهي ثلاثة أيام ، وما كان بعدها فهو من باب الصدقة .

بل جعل الإسلام واجب الضيافة حقا للضيف أن يطالب به إن تقاعس قوم على القيام به ، ففي الحديث قال ﷺ : « أيُما ضيف نزل بقوم فأصبح محروما ، فله أن يأخذ بقدر قراه ، ولا حرج عليه »[2].

والحق أن أبا طلحة وزوجته جمعا في صنيعهما هذا بين أمرين :

١- الإيثار .

٢- كرم الضيفان .

ولم يكن مثل هذا الصنيع بالمستغرب على أبي طلحة وزوجته ؛ ذلك أنهما كغيرهما من الأنصار عرفوا بهذه الأخلاق النبيلة ، فلا يذكر الأنصار إلا ويذكر معهم الإيثار ، ولا يذكر كرم الضيفان إلا ويذكر الأنصار .

وهو خلق عرف به الصالحون على مر التاريخ ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في « صفة الصفوة » : أن الربيع بن خثيم ضربه الفالج ، فطال وجعه فاشتهى لحم دجاج ، فكفّ نفسه أربعين يوما ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوما فكففت نفسي رجاء أن تكف فأبت . فقالت له امرأته : سبحان الله وأي شيء هذا حتى تكف نفسك عنه قد أحله الله لك ، فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين ، فذبحتها وشوتها واختبزت له خبزا له أصباغ ، ثم جاءت بالخوان حتى وضعته بين يديه ، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال :

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩) ومسلم في اللقطة (٤٨) عن أبي شريح الكعبي .

(٢) رواه أحمد في المسند (٨٩٤٨) وقال محققو المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي طلحة فقد روى له أبو داود والنسائي في السنن وهو ثقة ، والحاكم في مستدركه (١٤٧/٤) وصححه ، ووافقه الذهبي .

تصدقوا عليّ بارك الله فيكم . فكف عن الأكل وقال لامرأته : خذي هذا فلفيه وادفعيه إلى السائل . فقالت امرأته : سبحان الله . فقال : افعلي ما آمرك . قالت : فأنا أصنع ما هو خير له وأحب إليه من هذا . قال : وما هو ؟ قالت : نعطيه ثمن هذا ، وتأكل أنت شهوتك . قال : قد أحسنت ائتيني بثمنه . فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ . فقال : ضعيه على هذا وادفعيه جميعا إلى السائل .[1]

وقد كان يَعزّ على النبي أن يأتيه ضيف فيعجز عن استقباله ، لكن ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٨٦). ومن ثم فلا إثم عليه ولا حرج .

وإن المرء ليعجب حين يعلم أن رسول الله ﷺ وهو من ؟ هو رسول الله ﷺ . لا يجد في بيوت أزواجه كلها طعاماً ، ولكن ليس في ذلك غرابة ؛ إذا علمنا أن رسول الله ﷺ ما كان في الدنيا إلا كمسافر أو غريب أو عابر سبيل .

ويذكر ابن حجر أن هذا الضيف هو محدث الإسلام الأول أبو هريرة ﷺ ، ويؤكد أن المضيف هو أبو طلحة زوج أم سليم ، لا غيره يُكنى بأبي طلحة ، ولا ثابت بن قيس .[2]

وقد جاء في رواية عند ابن أبي الدنيا : «فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان» إنها حيلة وخديعة ، حتى يتوهم الضيف أنهما يأكلان .

والظاهر أن الصبيان لم يكونوا في حاجة مُلحة لهذا الطعام ، وإنما كان لهم لكثرة طلبهم وليس للحاجة إليه ، قال النووي : هذا محمول على أنهم لم يكونوا محتاجين إلى الأكل ، وإنما تطلبه أنفسهم على جوع لا يضرهم ، فإنهم لو كانوا على حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبا ، ويجب تقديمه على الضيافة ، وقد أثنى الله ورسوله ﷺ على هذا الرجل وامرأته ؛ فدل على أنهما لم يتركا واجبا ؛ بل أحسنا وأجملا ﷺ ، وأما هو وامرأته فأثرا على أنفسهما برضاهما مع حاجتهما وخصاصتهما ؛ فمدحهما الله تعالى وأنزل فيهما

---

(١) انظر : صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، ٣ / ٦٥ ، ط دار المعرفة بيروت الثانية ١٩٧٩ م .

(٢) انظر : فتح الباري ، ٨/ ٦٣٢ .

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر:٩) ففيه فضيلة الإيثار والحث عليه[١].

وهذا الإيثار الذي عرف به الأنصار وغيرهم إنما يكون في أمور الدنيا أما الطاعات فلا إيثار فيها ، قال النووي : وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفوس ، أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها لأن الحق فيها لله تعالى [٢].

بعض ما يستفاد من الحديث :

قال النووي : هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة منها :

١- ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا ، والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا .

٢- ومنها أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه ؛ فيواسيه من ماله أولا بما يتيسر إن أمكنه ، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه .

٣- ومنها المواساة في حال الشدائد .

٤- ومنها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره .

٥- ومنها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما .

٦- ومنها الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقا بأهل المنزل ؛ لقوله «أطفئي السراج وأريه أنّا نأكل» فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل [٣].

---

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، النووي ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٣٩٢ هـ ج ١٢/١٤ .

(٢) انظر : شرح النووي ، ١٤/ ١٢ .

(٣) انظر : شرح النووى ، ١٤/ ١٢ .

سيد الأنصار يضحك له الرحمن

عن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت : لما توفي سعد بن معاذ ﷺ صاحت أمه ، فقال النبي ﷺ : « ألا يرقأ [1] دمعك ويذهب حزنك ؟ فإن ابنك أول من ضحك الله له ، واهتز له العرش » [2].

يخبر النبي ﷺ عن مكانة سعد بن معاذ عند ربه ، فيا ترى من يكون هذا الرجل صاحب هذه المكانة العظيمة ؟ !

إنه سعد بن معاذ كان من أعظم الناس بركة في الإسلام ، شهد بدراً بلا خلاف فيه وشهد أحدا والخندق ، وكان موته بعد الخندق بشهر وبعد قريظة بليال [3].

من مواقف سعد ومناقبه :

ومواقف سعد ﷺ في نصرة الإسلام لا تحصى ، ومناقبه أكثر من أن تُعد ، وحديثنا هذا واحد منها ، وقد جاء في فضله عند البخاري « أتعجبون من هذا ؟ ـ حرير أهدي إليه ـ لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين » [4].

قال العلماء : إنما ضرب المثل بالمنديل لأنها ليست من عِلْية الثياب ، بل هي تتبدل في أنواع من المرافق يمسح بها الأيدي ، وينفض بها الغبار عن البدن ، ويُعطى بها ما يُهدى ، وتُتخذ لفائف للثياب ، فصار سبيلها سبيل الخادم ، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم ، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بعليتها [5].

ومن مناقبه أيضا : أن حملت جنازته الملائكة ، ومشي في جنازته سبعون ألف ملك لم تطأ أقدامهم الأرض قبل ذلك .

---

(١) يسكن دمعك وتقلعي عن البكاء .

(٢) رواه أحمد (٢٧٥٨١) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، ورواه الطبراني (٥٣٤٤) والحاكم (٢٠٦/٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح (٩/ ٣٠٩) .

(٣) انظر : الاستيعاب ، ابن عبد البر ، ط دار الجيل بيروت ، ٢/ ٦٠٣ .

(٤) رواه البخاري في الأيمان (٦٦٤٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٨) .

(٥) انظر : تحفة الأحوذي ، ٢٣٤/١٠ .

المقصود باهتزاز العرش :

وأما اهتزاز العرش ؛ فهل اهتز حقيقة أم لا ؟

قال النووي : اختلف العلماء في تأويله : فقالت طائفة : هو على ظاهره ، واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم روح سعد ، وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ، ولا مانع منه كما قال تعالى :﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة:٧٤). وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار .

وقال المازري : قال بعضهم هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته ، قال : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون . قال : لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال : إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته .

وقال آخرون : المراد اهتزاز أهل العرش ، وهم حملته وغيرهم من الملائكة ، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ، ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم ، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته ، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها .

وقال الحربي : هو كناية عن تعظيم شأن وفاته ، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء ، فيقولون : أظلمت لموت فلان الأرض وقامت له القيامة .

وقال جماعة : المراد اهتزاز سرير الجنازة ، وهو النعش ، وهذا القول باطل ؛ يرده صريح هذه الروايات التي ذكرها مسلم : «اهتز لموته عرش الرحمن»[1]. وإنما قال هؤلاء هذا التأويل ؛ لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي في مسلم . والله أعلم[2].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- رفعة منزلة سعد بن معاذ في الدنيا والآخرة .

٢- مشروعية البكاء على الميت .

٣- مشروعية تعزية صاحب المصاب .

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٦) .

(٢) انظر : شرح النووي ، ١٦/ ٢٢ .

٤- تطييب خاطر المصاب بمآثر المتوفى .

٥- مشاركة النبي لأصحابه في حزنه وتخفيفه عنهم .

ثلاثة أصناف أخرى يضحك الله لها

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **إن الله ليضحك إلى ثلاثة :** للصف في الصلاة ، وللرجل يصلي في جوف الليل ، وللرجل يقاتل (أراه قال) خلف الكتيبة ».[١]

تعددت الروايات التي جاءت بضحك الله تعالى لهذه الأصناف الثلاثة ومن هذه الروايات ما يلي :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الجهاد عند الله** يوم القيامة الذين يلقون في الصف الأول ، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون[٢] في الغُرَف العُلى من الجنة ، ينظر إليهم ربك ، **إن ربك إذا ضحك** إلى قوم فلا حساب عليهم »[٣].

وعن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : **ألا إن الله عز وجل يضحك** إلى رجلين : رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره فتوضأ ، ثم قام إلى صلاة ، فيقول الله عز وجل لملائكته : ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك . فيقول : فإني قد أعطيته ما رجا ، وأمنته مما خاف . ورجل كان في فئة فعلم ما له في الفرار ، وعلم ما له عند الله فقاتل حتى قتل ، فيقول للملائكة : ما حمل عبدي هذا على ما صنع ؟ فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك فيقول : فإني أُشهدكم أني قد أعطيته ما رجا ، وأمنته مما خاف « أو كلمة شبيهة بها ».

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٠٠) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٣٥) .

(٢) يتمرغون في النعيم ، والتلبط هو التمرغ في النعيم .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٧/٢) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٥٨) .

وفي رواية أخرى : قال : رجلان يضحك الله إليهما رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه ، فلقيهم العدو فانهزموا وثبت الآخر ، إن قتل قتل كلاهما ، فذلك **يضحك الله إليه** . ورجل قام من الليل لا يعلم به أحد فأسبغ الوضوء وصلى على محمد ﷺ وحمد الله واستفتح القراءة **فيضحك الله إليه** ، يقول : انظروا إلى عبدي لا يراه أحد غيري[1] » .

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن أبي ذر قال : ثلاثة **يضحك الله تعالى إليهم ويتبشبش**[2] الله لهم : رجل قام من الليل وترك فراشه ودفاءه ، ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فيقول الله لملائكته : ما حمل عبدي هذا على ما صنع ؟ فتقول : أنت أعلم ، فيقول : أنا أعلم به ولكن أخبروني ، فيقولون : خوفته شيئاً فخافه ورجيته شيئاً فرجاه ، فيقول أشهدكم أني قد أمنته مما خاف وأوجبت له ما رجا ، قال : ورجل كان في سرية ولقوا العدو فانهزم أصحابه ، وثبت هو حتى قتل أو فتح الله عليه ، ورجل أسرى ليلته ، حتى إذا كان في آخر الليل نزل هو وأصحابه ، فنام أصحابه وقام هو يصلي[3] » .

هذه الروايات كلها تتحدث عن أصناف ثلاثة :

الأول : مجاهد في الصف الأول ، لقي عدوه فثبت ؛ وهل الجهاد إلا الثبات ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حضرت المعارك ، واجتمع الخصمان ، وتلاحم الصفان ، نادى في أصحابه بالثبات ، وها هو ﷺ ينادي في أصحابه يوم بدر ويقول : « والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »[4] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً (٩/ ١٠١) وذكره الألباني في صحيح الترغيب ، وقال حسن لغيره (٦٣٠) .

رواه الطبراني في الكبير . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن (٢/٢٥٦) .

(٢) سر به وأقبل عليه ، والتبشيش هو المسرة به والإقبال عليه . الفائق ، ١/ ١٠٩ .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٨٥) .

(٤) انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام ، طبعة دار الجيل بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ ، ١/ ٢٣٩ .

وقد سمع الصحابة من النبي ﷺ هذا الكلام وعلموا أن الرسول أراد أن يزرع فيهم إرادة قوية ، وعزيمة ثابتة ، وهمة راسخة رسوخ الشُمّ الرواسي ، فتفاعلوا مع هذا الكلام المشرق ، حتى رأينا عمير بن الحمام الأنصاري يُلقي ما في يده من تمرات ويقول : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، وأخذ يقول :

ركضـــــاً إلى الله بغـــــير زاد إلا التقـــى وعمـــل المعـــاد
والصـــبر في الله علـــى الجهـــاد وكـــل زاد عرضـــه النفـــاد

غير التقى والبر والرشاد

فقاتل حتى قتل [1].

وهذا عكرمة بن أبي جهل في اليرموك يضرب لنا أروع أمثلة على الثبات ، حين اشتدت المعركة ونزل عن جواده ، وكسر غمد سيفه ، وأوغل في صفوف الروم ، فناداه خالد بن الوليد وقال : لا تفعل يا عكرمة فإن قتلك سيكون شديداً على المسلمين .

فقال : إليك عني يا خالد ، فلقد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة ، أما أنا وأبي فقد كنا من أشد الناس على رسول الله ﷺ ، فدعني أُكفر عما سلف مني ، ثم قال : لقد قاتلت رسول الله في مواطن كثيرة وأفر من الروم اليوم ؟! إن هذا لن يكون أبداً.

ثم نادى في المسلمين : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمائة من المسلمين ، فقاتلوا دون فسطاط خالد أشد القتال ، وذادوا عنه أكرم الزود .

ولما انجلت المعركة عن ذلك النصر المؤزر للمسلمين ؛ كان يتمدد على الأرض ثلاثة مجاهدين أثخنتهم الجراح هم : الحارث بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل [2].

---

(١) انظر : زاد المعاد ، مرجع سابق ، ٣ / ١٨٢ .

(٢) انظر : صور من حياة الصحابة ، د : عبد الرحمن رأفت الباشا ، ص ١٢٥ ، ١٢٦، ط دار الأدب الإسلامي الأولى ١٩٩٧م .

الثاني : رجل رأى الليل وقد أرخى سدوله ، وآوى كل خلٍّ إلى خليله ، وكل حبيب إلى حبيبه ، وأخذ كل واحد من الناس جنبا من سريره ، وقد فعل هو مثلهم ، لكنه عاش بين الخوف والطمع ، بين الرغبة والشفقة ، الرغبة فيما عند الله الخالق من النعيم ، والشفقة فيما عنده من العذاب ، فقام تاركاً فراشه اللين ، ومضجعه الوثير ، وقام يناجي مولاه ، ولسان حاله يقول :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وهذا حق لربه أن يضحك له ؛ ولم لا وقد ترك ما تهفو إليه النفوس طمعاً فيما عند الله ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

الثالث : الصف في الصلاة ، إن الصلاة شعار هذا الدين ، وقد حرص الإسلام على أدائها في جماعة ، كما حرص النبي ﷺ على حسن صفوفها فقال : «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقالوا : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصف الأول ، ويتراصون في الصف»[1].

وكان ﷺ يحذرهم من عدم الصف في الصلاة ، ويشدد لهم الوعيد ، فيقول : «أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني آراكم من وراء ظهري»[2].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- في الحديث إشارة إلى عُلو مكانة الشهداء ، ورفعة منزلتهم ، وقد خص الحديث المجاهدين في الصف الأول بهذه الخاصية والتي هي ضحك الله عز وجل لهم ؛ من جُرأتهم وإقدامهم .

٢- فضل صلاة الليل ، وعظيم أجر من حافظ عليها .

٣- مشروعية صلاة الجماعة ، والحض على ترتيب صفوفها ؛ فإن ذلك من شعائر الإسلام .

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٠) عن جابر .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الأذان (٧١٨) . ومسلم في الصلاة (٤٣٤) .

ثبوت التبشبش[1] كما ثبت الضحك

وكما ثبت الضحك لله سبحانه ؛ فقد ثبت له جل جلاله التبشبش ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ما من رجل كان يوطن المساجد فشغله أمر أو علة ، ثم عاد إلى ما كان ، إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم »[2] .

وفي رواية عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول : قال رسول ﷺ : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته »[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال :« ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر ؛ إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم »[4].

وهذه الأحاديث تدل هنا على فرح الله سبحانه بتوبة عبده ، وإقباله عليه ، وهذا يكون في إتيان العبد للطاعة ، وفي إقلاعه عن المعصية والعودة إليه تعالى ، ويشهد لذلك قوله ﷺ : « لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال : من شدة الفرح ـ اللهم أنت عبدي وأنا ربك ـ أخطأ من شدة الفرح ».[5]

---

(١) التبشبش هو : المسرة بالشيء والإقبال عليه .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣٥٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٢٧) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٨٠٦٥) وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٣) .

(٤) رواه ابن ماجه في المساجد والجماعات (٨٠٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٥٢) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) عن ابن مسعود .